

لما هم محمد بخلع المأمون شاور عبد الله بن حازم فقال له أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه واستخف بيمينه فقال اسكت فعبد الله بن صالح كان أفضل منك رأياً حيث يقول لا يجتمع فحلان في أجمة وجمع القواد وشاورهم فاتبعوه في مراده وكان علي بن عيسى بن ماهان أول من أجاب إلى خلع المأمون فسيره في جيش عظيم نحو المأمون فلما قرب من الري قيل له إن طاهر بن الحسين مقيم بها فقال ما طاهر إلا شوكة من أغصاني وشرارة من نارتي وما مثل طاهر يؤمر على جيش فقال له ابنه إن الشرارة ربما صارت ناراً فقال له إن طاهراً ليس قرناً في هذا الموضع وإنما تحترس الرجال من أقرانها وسار وبث عساكره من الري وأقبل طاهر في نحو أربعة آلاف فارس فأشرف على عساكر علي وتبين كثرتها فعلم أن لا طاقة له بذلك الجيش فقال لخواصه نجعلها خارجية وكردس خيله كراديس وصد في نحو القلب في سبعمائة من الخوارزمية وغيرهم من فرسان خراسان (...) وقتل في هذه المعركة علي بن ماهان فأتي طاهر برأسه في مخلاة وبجثته وقد شدت يداه ورجلاه كما يفعل بالدواب إذا ماتت فأمر به طاهر فألقي في بئر وكتب إلى المأمون بذلك فسر المأمون وسلم عليه في ذلك الوقت بالخلافة ثم سار طاهر بن الحسين فنزل حلوان على خمسة أيام من مدينة السلام فتعجب الناس من أمره وإدبار أصحاب الأمين وهزيمتهم وأيقن الناس بظهور المأمون ولما أحيط بمحمد الأمين من الجانب الشرقي والغربي وكان هرثمة بن أعين نازلاً مما يلي النهروان بالقرب من باب خراسان وطاهر من الجانب الغربي مما يلي الناشرية وباب المحول والكناس جمع قواده وقال إني لأفارقكم بقلب موجه ونفس حزينة وحسرة عظيمة إني محتال لنفسي فأسأل الله أن يلطف بي بمعونته ثم كتب إلى طاهر أما بعد فإنك تنصحت فنصحت وحاربت فنصرت وقد يغلب الغالب ويخذل المفلح وقد رأيت الصلاح في معاونتي أخي والخروج إليه من هذا السلطان إذ كان أولى به وأحق فأعطني الأمان على نفسي وولدي وأمي وجدتي وحاشيتي وأنصاري وإخواني وأخرج إليه وهذا الأمر إلى أخي فإن رأى الوفاء بأمانك وإلا كان أولى وأحق (...) وأخذوا رأسه إلى طاهر ثم حمل الرأس إلى خراسان إلى المأمون في منديل والقطن عليه والأطلية فبكى المأمون واشتد تأسفه عليه فقال له الفضل بن سهل الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة فإن محمداً كان يتمنى أن يراك بحيث رأيته .